سلسلة الدراسات القبطية

٢٧

خداع الشياطين

للقديس أنبا أوغريس

١٩٦٥

يوسف حبيب

مقدمة

أثناء تصفحنا لكتابات الآباء الأولين فى كتاب :

" *Early Fathers from the philokalia* "

ترجمة " *E. Kadloubovsky and G. E. H. palmer* "

وجدنا تداريب للقديس أنبا أوغريس على جانب كبير من الأهمية نافعة جداً لآباء الاعتراف والمعترفين وإرشادات ثمينة فى الجهاد الروحى ، فيها كشف لحيل إبليس وخداعه وسمومه التى ينفثها فى قلوب أولاد الله ، لذا رأينا أن ننقل اليك أيها القارىء العزيز هذه التداريب والإرشادات مترجمة من الكتاب السالف الذكر وأضفنا اليها القليل مما وجدناه فى كتاب البستان وما ذكره بلاديوس فى كتابه *The Paradise of the Holy Fathers* وكنا نرغب أن يضم هذا الكتاب مقالات هذا الأب القديس لكن تبين لنا أن هذه المقالات كثيرة جداً تعد بالمئات (١) . فبادرنا إلى إصدار هذا الكتيب الصغير الذى يتضمن ترجمة كاملة

(١) وضع العلامة ماريو نيسيوس يعقوب بن العدلى كتابا فى تفسير مئات من مقالات الأب أوغريس (راجع مقدمة كتابه فى تفسير انجيل متى ومرقس) وتوجد هذه المقالات ضمن مخطوطات فى بعض الأديرة .

لما ورد فى كتاب الفيلوكاليا مع بعض الإضافات بعد ترتيب المواضيع ووضع العناوين المناسبة لها

وسوف نعرض فى فرصة أخرى قريبة إن شاء الله لمقالات هذا الأب .

ولا يغرب عن البال أن الكثير من هذه التداريب خاص بالآباء الرهبان والبعض يجب أن يكون تحت إرشاد أب الاعتراف الدقيق، لأن الأفكار الواردة بهذا الكتاب كلها عبارة عن خلاصة تجارب شخصية مر بها القديس أوغريس ومعاصروه من كبار آباء الرهبان الذين سكنوا فى بطن الصحراء وقاتلوا قتالات عنيفة ضد الشياطين وانتصروا بمعونة الرب .

يوليو سنة ١٩٦٥ — يوسف حبيب

القديس أنبا ارغريس (١)

ولد حوالى منتصف القرن الرابع بقرب *Pontus Euxinus* كان أبوه قسا وقد نمت مواهبه الممتازة أنظار أعاظم العلماء المعاصرين القديس باسيليوس الكبير اسقف الكبادوك والقديس غريغوريوس أسقف نيسس وغريغوريوس الناطق بالإلهيات وقد سلك تحت إرشادهم ونما وتقوى فى الروحيات وفى معرفة الإيمان وفى الحياة التى فى المسيح يسوع - رسمه القديس باسيليوس اغنسطسا (قارئا) (٢) وبعد نياحته رقاه القديس غريغوريوس النزنزى إلى رتبة الدياكونية (٣) لما رأى عظم مواهبه التى تكشفت فى نواح عديدة - فضلا عن تحمله بسائر

---

(١) *Evagrius* أو *Evagre*

(٢) هذه الرتبة خطيرة ورد بشأنها الشىء الكثير فى كتاب الرسامات وفى كتاب مجموع القوانين وقد ورد فى ص ٦٩ (قال الرسل .. ليقم الاغتسلس بعد أن يحرب أولا .. ويكون له سيرة حسنة محبا للخير ... ويقرأ جيداً ويعرف أن موضع القارىء أن يصل بما يقرأه فالذى يملأ سمع آخرين أما يجب له أن يعرف ما يقوله ، أليس هذه تكتب خطية أمام الله ؟ ...)

(٣) رتبة الشماس الكامل .

أنواع الفضائل وأخذه معه إلى القسطنطينية فى المجمع المسكونى الثانى وتركه هناك وعاد لكنه اضطر ، بعد برهة وجيزة - لسبب ما - أن يترك القسطنطينية ويذهب إلى أورشليم

وقيل أن السبب هو - كما ذكره « بلاديوس » (١) أن مرة حاربته أفكار الشهوة الرديئة محاربات شديدة الوطأة (إذ حسده أبليس) وهى التى قال عن قتالها انها تأتينا بعض الأحيان من راحة الجسد وتغذيته ، وفى أحيان أخرى من طبيعتنا البشرية ومن الأوجاع الموجودة فينا فتنقض علينا ، وأحيانا بسبب حسد ابليس . : وقد رأى فى رؤيا ملاكا فى هيئة أحد أصدقائه وكان هو (أى القديس) مكبلا بالأغلال شأنه شأن الذين يسقطون فى الجرائم ويقودونهم إلى السجون وإذا بذلك الصديق يحدثه « ما الذى أصابك أيها الأخ » فأجابه القديس اوغريس بالحقيقة لست أدرى ربما أن أحدا من الوجهاء - أقام الدعوى على أمام المحاكم لحسد أو ضغينة وإنى أخشى أن يقول القضاء كلمته فى بالموت ، قال له الملاك انى اشير عليك مشورتى وهى الا تبقى فى هذه المدينة فشكره القديس اوغريس ووعده

---

(١) فى كتابه "*The Paradise of the Holy Fathers*" ص ٢٢٢ وما بعده الجزء الأول .

بذلك ، حينئذ قال له الملاك اقسم لى انك تبرح هذه المدينة وتهتم بخلاص نفسك وأنا أنقذك من كل هذه المحاكمات فأقسم الأب أوغريس قائلا له : « سوف لا أتأخر فى هذه المدينة اكثر من يوم واحد حتى آخذ ما أحتاج اليه قبل مبارحتى المدينة . . .

استيقظ القديس اوغريس بعد ذلك وفكر فى نفسه قائلا : « ولو أن هذا القسم وهذه التعهدات كانت فى حلم لكنه من الحق على أن أنفذ ما تعهدت به وصمم القديس على السفر وأبحر على احدى السفن إلى أورشليم وكانت هناك القديسة الشهيرة ميلانيا(١)

بدأت أفكار الكبرياء تتحرك فى قلب القديس لكنه كان يجاهد (وهو الذى كان دائما يقول عن الجهاد فى الفضائل « أن من يقول انه قد اقتنى فضيلة بغير جهاد فهو إلى الآن ممسوك فى الآلام لأن ألد الأعداء هم قبالة أتعاب الفضيلة ، والقلب الذى ليس فيه قتال ليست فيه فضيلة ولا شجاعة . . . لأن الأفكار إذا وجدت النفس بطالة من تذكار الله حينئذ تذكرها بالأفعال الرديئة . . .) وهو الذى قال « ممدوح هو الإنسان الذى يربط النسك بالفهم لكى تروى النفس من هذين التبعين » . وأن الله الرحوم محب البشر لم يدعه طويلا . ومحبته له أراد أن يخلصه

(١) راجع سيرتها فى كتابنا « آباء البرية الجزء الأول »

ولكن بتجربة من لدنه ، إذ أصيب بحمى شديدة ومرض حوالى ستة شهور ولم يستطع أحد من الأطباء أن يداوه . وإذ كانت القديسة ميلانيا مرة فى زيارته قالت له يابنى أن هذا المرض غريب وليس كسائر الأمراض ، وبعدأن روى لها قصته أشارت عليه أن يعدها بأنه إذا عافاه الرب ينطلق إلى إحدى الديارات ووعدته هى بالصلاة من أجل شفائه من مرضه .

لم تنقض سوى أيام قلائل حتى من الله عليه بالشفاء وبعد أن قام من سرير مرضه وتعافى كان جادا فى تنفيذ وعده ـ انطلق إلى مصر إلى صحراء نتريا حيث قضى سنتين ، وفى السنة الثالثة توغل فى الصحراء الداخلية حيث سكن فى منطقة القلالى وأخيرا عاش فى الاسقيط (١) حوالى ١٥ عاما وأخذ يحيا حياة التقشف بنسك زائد ، وكانت الحياة وقتئذ هى نفسها بالنسبة لجميع الآباء قاسية ومملوءة بالنسك والتعب لكنه فاقهم ، وقد وضع على نفسه قانونا أن يصلى كل يوم مائة مرة ، وكان يقتات من عمل يديه وكان عمله كتابة الكتب وقبل انقضاء ١٥ عاما أنعم الله عليه بمواهب الإفراز والحكمة والفهم . . .

(١) راجع كتابنا « هقاريوس الاسكندرى » عن صحراء نتريا ـ القلالى الاسقيط .

وفى الصحراء قابل القديس مكاريوس المصرى والقديس مكاريوس الاسكندرى وهما رئيسا الاسقيط والقلالى ، وكان يسلك تحت إرشادهما .

ألف ثلاثة مجلدات أوضح فيها خداع أبليس والفخاخ التى ينصبها فى أفكار الناس .

ويذكر لنا بلاديوس قصصا كثيرة عن قتالاته ضد شياطين الزنا والمجد الفارغ وكيف كان القديس يقاومهم فى صبر وجلد ، ولقد حرب تحارب كثيرة وقوتل قتالات شديدة ، فكانت له خبرة عظيمة تجاه حيل أبليس وكانت له حكمة فى كشف فخاخ ابليس وطرق خداعه بقوة الرب يسوع .

وقرب نهاية حياته خفف من نسكه إذ اضطر لحالته الصحية أن يتناول طعاما مطبوخاً .

وفى مناسبات كثيرة خرج من عزلته ليفحم الفلاسفة الوثنيين (١)

وكان ينصح تلاميذه الا يكثروا حتى من شرب الماء ، وذهب

---

(١) ٣٧٣ جزء أول
" *The Paradise of the Holy Fathers* "

مرة إلى أحد الآباء وقال له قل لى كلمة منفعة لخلاص نفسى (ص ١٥ الجزء الأول لبلاديوس) ، فقال له القديس إذا أردت أن تخلص فإذا ذهبت لأى إنسان لاتتكلم قبل أن يسألك سؤالا ، وللحال تنبه اوغريس وتأسف فى نفسه وقال حقاً قرأت كتباً كثيرة ولم أقبل تعليما من هذا النوع وخرج منتفعاً .

تحدث القديس ارسيفيوس مرة مع الأب اوغريس عن كيف يتمتع هؤلاء الأميون بحسن الأفراز الأمر الذى لم نفعله نحن الذين نلنا نصيبا من المعارف الدنيوية ، فأجاب ارسيفيوس أن هؤلاء نالوا الإفراز من عرق كفاحهم الروحى .

وتنيح سنة ٣٩٩ م وكان عمره حوالى ٦٠ سنة وترك مؤلفات ومبامر كثيرة . وقد نشر البستان القليل جداً من أقواله وكان مؤلف البستان نفسه تلميذاً له .

وكان له اتصالات كثيرة بشخصيات البرية الممتازة ، كما نشرت الفيلوكاليا إرشادات ثمينة لهذا الأب فى الجهاد الروحى (ستأتى ترجمتها) .

وقد كتب القديس جيروم عن الأب اوغريس يمتدحه إذ قال : ان أقواله لم تكن لتقرأ في الكنيسة اليونانية فقط بل في الغرب أيضاً حيث نقلها تلميذه روفينوس إلى اللاتينية ، بركة صلواته فلتكن معنا آمين .

ارشادات القديس

في الجهاد الروحي

١ – فحص الافكار التي يعرضها عدو الخير

الإنسان الذي يريد أن يميز ويعرف الشياطين الشريرة ويكتسب خبرة وإفرازاً في طرق خداعهم يجب عليه أن يلاحظ أفكارهم ويمعن النظر في أي أمر تتركز هذه الأفكار؟ وأي الأمور تطرأ على الفكر وتمر بسهولة ؟ وأي الأفكار تكون نشطة ؟ وفي أي الظروف تكون كذلك ؟ وايها يتبع الآخر ؟ وأي الأفكار لا تكون متلازمة مع بعضها البعض ؟ ويطلب المعونة من السيد المسيح للخلاص منها جميعاً . عدو الخير يغتاظ ويحنق من أولئك الذين يمارسون الفضائل بنشاط وبفهم ويلقون الضوء على كل الأمور لأن الشياطين تريد أن تصوب سهامها خفية إلى الامام – في القلب .

٢ – الافراز في الاعمال الصالحة

ليس من الممكن في كل الأوقات أن تتبع القوانين والقواعد العادية ، بل يجب أن يضع المرء في الحسبان الظروف والإمكانيات

ويحاول تنفيذ ما هو مستطاع قدر الإمكان . . . ان الشياطين ، لأنها فى عداء مستمر معنا تمنعنا من عمل ما هو مستطاع وتحرضنا على عمل ما هو غير مستطاع ، من أجل هذا فإنها تحمل المرضى على الامتناع عن شكر الله على محنتهم وآلامهم وعن الاعتراف بجميل من يخدمونهم ، كذلك فإنها تحرك الضعفاء لكى يمارسوا أشق النقشات والذين أضناهم العمر والتعب لكى يسهروا واقفين فى قراءة التسابيح .

٣ — انسحاب الشياطين من القتال

عندما تتعب الشياطين فى قتالها مع الرهبان فإنهم ينسحبون عنهم لفترة قليلة ليلاحظوا أية فضيلة أهملوها أثناء هذه الفترة الهادئة ، حينئذ بغتة يهجمون عليهم من هذه الناحية ويسلبون النفس المسكينة .

ومع العلمانيين تحارب الشياطين من واقع الامور المادية ولكن بالنسبة للرهبان غالبا يكون قتالهم عن طريق الأفكار لأنهم فى البرية لا يملكون شيئا ـ ولما كان من الأسهل والأسرع الخطأ بالفكر عن الخطأ بالفعل ، لذلك فإن القتال العقلى أكثر مشقة من ذلك الذى يأتى عن طريق الأشياء الملموسة لأن العقل سريع

الحركة ولا يمكن ضبطه وهو أكثر حساسية للتصورات الخاطئة .

٤ — الخبرة عن استقرار أفكار عدو الخير فى النفس

كل الأفكار التى تأتى من الشياطين تدخل إلى النفس فى صور أشياء حسية ، وإذا تركت فى العقل تترك فيه أثراً فيداوم التفكر فيها ولهذا نستطيع أن نفهم من موضوع الأفكار أى شيطان قد إقترب إلينا ـ مثال ذلك إذا أتتك صورة إنسان سبب لك ضرراً أو أساء إليك إعلم أن شيطان الحقد قد إقترب . . . كذا إذا تذكرت المال أو الشهوة . . . وهكذا سائر أنواع الأفكار .

ولا أعنى أن كل التصورات لمثل هذه الأشياء تأتى من الشياطين ، لأنه أمر طبيعى للعقل نفسه أن ترد إليه صور الحوادث التى مضت ـ لكن الذكريات التى تأتى من عدو الخير هى التى تسبب الإثارة أو الشهوات بحالة غير طبيعية ، ومن أجل اضطراب هذه القوى فى الداخل يرتكب العقل الزنا أو المشاحنات ولا يعود يستطيع أن يحفظ أفكاره فى الله لأن النور يشرق فى العقل (أى الأفكار الهادئة فى الله) . . .

٥ ـ شياطين شهوة الأكل ـ محبة المال ـ المجد الباطل

بين المحاربات التى تحارب الذين يحيون حياة عاملة نشطة محاربات الشهوات : (شهوة الأكل ـ محبة المال ـ المجد الباطل) ، باقى الشياطين تقف إلى الوراء لتتسلم المصابين الذين أصيبوا بإحدى هذه الشهوات ، لأنه يستحيل أن يقع الإنسان فى الزنا ما لم يكن قد سقط أولا فى شراهة الأكل ، ومن المستحيل أن يتحرك للغضب ما لم يقاتل الإنسان ويشاحن لأجل الطعام أو المال أو الشهرة ، من الصعب أن يتجنب الإنسان محاربة عدم القناعة ما لم يكن الإنسان قد إحتمل الحرمان . . . يستحيل أن يهرب من الكبرياء ما لم يكن قد إستأصل من قلبه محبة المال أصل كل الشرور (١ تى ٦ : ١٠) . لأنه حسب ما يقوله سليمان الحكيم ، الفقر يضع الإنسان ، (أمثال ١٠ : ٤) .

وباختصار لا يمكن أن يسقط إنسان تحت قوة أية محاربة ما لم يكن قد أصيب أولا من هؤلاء الثلاثة السابقين ـ وهذا هو السبب الذى من أجله أشار الشيطان على السيد المسيح بهذه المشورات الثلاثة :ـ

الأولى : أن تصير الحجارة خبزاً .

الثانية : وعده بكل ممالك العالم إذا سجد له السيد .

الثالثة : إذا سمع له فإنه يتمجد ولا يمسه ضرر إذا رمى نفسه من جناح الهيكل ، لكن السيد الذى كان فوق كل هذا أمر الشيطان أن يذهب بعيداً عنه مبيناً لنا أنه لا يمكن أن نقهر الشيطان ما لم نحتقر هذه المقترحات الثلاثة .

٦ ـ الحذر من وضع السلاح فى أيدى أعدائنا القتالنا

رغبات الشياطين وكل مشوراتها الخبيثة ، تساعدها نحن كثيراً بسرعة إنفعالاتنا وتهيجنا ، لذلك فإن الشياطين تترقب الفرص لكى تقاتلنا بالليل والنهار ، ولكن عندما يرون أننا قد قيدناهم بالاتضاع فإنهم يحاولون أن يحلوا هذه القيود متذرعين بأى إدعاء سليم حتى إذا ماثارت نفوسنا فإنها تتيح الفرصة للشياطين لزرع أفكارها ـ البهيمية . من أجل هذا لا ينبغى أن تثير هذه المشورات والرغبات فى داخلنا سواء من أجل أغراض صحيحة أو غير صحيحة لئلا نضع سلاحاً خطيراً فى أيدى أولئك الذين يحرضوننا على الشر ـ ولكنى أعلم أن كثيرين يفعلون هذا لأتفه الأسباب فيثورون أكثر مما ينبغى .

لماذا سريعاً تتخذ لنفسك موقف المناضل والمهاجم إذا كنت قد تخليت عن شهوة الأكل ، والمال أو الشهرة ؟ لماذا تطعم الكلاب (١) إذا كنت قد تعهدت بأن لا تقتنى شيئاً ؟ إذا نبح الكلاب وهجم على الناس فإنه واضح أن بداخلك شيئاً تريد أن تحتفظ به . هذا الإنسان بكل تأكيد بعيد عن الصلاة الطاهرة ، لأن الغضب يفسد مثل هذه الصلاة ، وقال داود النبي « كف عن الغضب واترك السخط » مز ٣٦ : ٨ والرسول بولس يأمر أن نرفع فى كل مكان أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال (١ تى ٢ : ٨) .

٧ — ماهية الأفكار النورانية وأفكار الناس وأفكار الشياطين

من الإختبارات الطويلة وجدنا أن الفرق بين الأفكار النورانية والأفكار التى تأتى من الناس والتى تأتى من الشياطين هو كالآتى :—

الأفكار النورانية تكشف طبيعة الأشياء ومعانيها الروحية ،

(١) الكلاب المقصود به الجسد .

مثال ذلك : لأى غرض خلق الذهب ؟ ولماذا هو مبعثر مثل الرمل فى الأودية ؟ ولماذا يحصلون عليه بمشقة كبيرة وتعب ؟ كيف انهم عندما يكتشفونه يغسلونه ويضعونه فى النار وبعد ذلك يأتى إلى أيدى الصناع الذين يصيغون منه للكنائس وأماكن العبادة شمعدانات وسلاسل المباخر . . .

إن فكر الشيطان لا يعرف ولا يفهم هذا لكنه بدون خزى يعرض فقط تملك الذهب موهما إيانا بالسرور والمجد الذى نحصل عليه عن طريق حيازتنا له !!

أما الفكر البشرى فإنه يعرض فقط صورا عادية للذهب دون شهوات أو مطامع .

إذا درب الانسان عقله طبقاً لهذا المثل فإنه يجد أن هذه الأنواع الثلاثة تنطبق على ما يرد بفكر الانسان .

٨ — الفكر المتجول

يوجد فكر يقال له الفكر المتجول *wanderer* إنه يأتى للاخوة غالبا فى نهاية الليل ويقود العقل من مدينة إلى مدينة ، ومن قرية إلى أخرى ، ومن بيت إلى بيت ، فى أثناء النهار يكون الأمر سهلا مجرد محادثات ولكن فيما بعد إذا انجذب الانسان فى

أحاديث طويلة مع بعض معارفه القدامى فإن حالته تتأثر تبعاً لصفات هؤلاء الذين يقابلهم . وعلى هذا فإنه رويداً رويداً يسقط من يقظة ومعرفة الله ومن الفضيلة ويفسى دعواته وتعهداته .

من أجل هذا يجب على المؤمن أن يراقب هذا الشيطان (١) ويلاحظ من أين يأتى وما هى الأمور التى يأتى بها لأنه لا يدور هذه الدورة الواسعة دون أن يكون له هدف . إنه يفعل هـذا لكى يقلق حالة المؤمن حتى إذا انتبه العقل بكل هذه الأشياء وسكر بمحادثات كثيرة يسقط فجأة تحت سلطان شيطان الزنا أو الغضب أو عدم القناعة التى هى أكثر خطراً . لكن إذا أردنا أن نزيد معرفتنا بخداع هذا الشيطان فيجب ألا نقاومه للحال وألا نظهر للآباء كيف انه يفنى المحادثات فينا وبأى طريق يسبى عقلنا إلى مملكة الموت ، لأنه عند ذلك يهرب مسرعا لعدم قدرته على أن يحتمل كشف حيله أمام الآخرين ، وعندئذ سوف لانتعلم شيئاً من الأمور التى كنا نريد أن نتعلمها ، لكن لنسمح له بالحرى أن يقوم بالتمثيلية حتى ختامها فى اليوم الثانى أو فى اليوم الثالث لكى نعرف كل طرقه الخبيثة وعند ذلك نكون قادرين على أن

(١) مثل هـذه التداريب خطيرة على المبتدئين ولم يمارسها سوى الآباء الرهبان المتقدمون جدا فى الروحيات .

نجعله يفر منا ويهرب بكلمة واحدة من الرفض . . ولما كان العقل أثناء التجربة يكون عادة مضطربا ولا يستطيع أن يرى بوضوح ما يحدث فينا عندما ينسحب الشيطان ، فعليك أن تتبع ما يلى :—

اجلس مع نفسك وتذكر ما حدث لك من أين ابتدأت وإلى أين رحلت ؟ فى أى مكان ملكك روح الزنا أو عدم القناعة أو الغضب ؟ وكيف تسلسلت الحوادث لك بعد ذلك . ادرس هذا جيدا واحضره إلى ذاكرتك حتى تستطيع أن تكشفه عندما يعود اليك ثانية ، لاحظ أيضاً المكان الذى كان يخفيه ولا تتبعه بعد ذلك ، بعد كل هذا إذا كنت تريد أن تثيره إكشفه حالا بمجرد أن يقدم نفسه واذكر شفاها المكان الأول الذى دخلت اليه (فى عقلك فى الجولة الأولى) ثم المكان الثانى والثالث فإنه لا يحتمل الخزى وسوف يفتاظ بشدة . وان هروب الفكر عنك سوف يكون الدليل على فائدة معالجته بهذه الطريقة لأنه لايقدر أن يثبت أمام هذا الكشف الفاضح لحيله وأفكاره .

بعد الانتصار على هذا الشيطان يحل نوم كثير ، ثقل الجفون ، شعور بالبرد ، تثاؤب كثير زائد عن الحـد وضعف الكتفين ولكن بالصلاة يبدد الروح القدس كل هذه الأعراض .

٩ – أنواع الشياطين

من الضروري أن نميز الفرق بين أنواع الشياطين وأن نلاحظ أوقاتها – من الأفكار نعرف الشياطين النادرة ولكنها اكثر محاربة والشياطين التي تقاتلنا باستمرار . . . كهذا الشياطين التي تهجم على الانسان فجأة وتقوى العقل إلى الكفر .

ومن المهم أن نلاحظ متى تبدأ الأفكار ، وأن نكشف أغراضهم متى يكون لدينا الوقت لنقول شيئا ضدهم ونلاحظ ما يأتون به ، لأنه في هذه الحالة سوف ننجح بمعونة الله ونضطرهم إلى الرجوع عنا بغيظ متعجبين منا .

١٠ – حراسة الأفكار ضد الذئاب

ان السيد أوكل أفكار هذا الزمان للانسان مثل الغنم الى الراعي الصالح ، معطيا إياه الشوق والغضب ، حتى إنه بالغضب يبدد الذئاب أي الشياطين ، وبالشوق من كل قلبه يحب الغنم ويطعمها ويحتمل المطار المتكاثر والرياح الشديدة ، فضلا عن ذلك إنه يقود الغنم إلى المراعي الخضراء وماء الراحة (مز ٢٣ : ٢) حتى انه من هذا القطيع ومن الزرع يأتي بالطعام وبالحلل ويجمع عشب الجبال (أمثال ٢٧ : ٢٥) لأنه يقول من يطعم قطيعا

ولا يشرب من لبن القطيع (١كو ٩ : ٧) – من أجل هذا يجب على الراهب (١) أن يحرس هذا القطيع ليل نهار حتى لاتفترس الوحوش خروفا واحداً أو يقع في أيدي اللصوص ، وإذا حدث ذلك في مكان مقفر فإنه يجب عليه للحال أن يخلص الحمل من فم الأسد أو الدب . ومن وحوش البرية أعني الأفكار المقاتلة مثل فكر عن أخ يولد فينا الكراهية . فكر عن امرأة يؤدي بنا إلى الشهوة ، فكر الفضة والذهب إذا جاء وسكن فينا يكون مقرونا بالجشع والطمع ، حتى أفكار المواهب المقدسة إذا رسخت في العقل قد تؤدي إلى المجد الباطل ، وبالمثل سائر الشهوات ينبغي أن نحرس قطيعنا (أفكارنا وحواسنا) ليس فقط بالنهار لكن يجب أن نحرسه (القطيع) يقظة أيضا بالليل . . . وإذا سقطنا ليتنا نسرع إلى صخرة المعرفة ونتلو المراثير ونقطف الفضائل من أوتار عود المعرفة ، ليتنا نحفظ غنمنا سالمة في جبل سيناء حتى ينادينا إله آبائنا من وسط العليقة المتقدة بالنار (خر ٣ : ١ – ٤) ويمنحنا قوة الآيات والمعجزات .

---

(١) يخص الرهبان والعلمانيين سواء بسواء لأن الجميع تحت الآلام

١١ – كيف ترد السيف الى قلب أبليس

إذا حاربك عدو الخير وأصابك بجراحات وتريد حسب المكتوب أن سيفه يرد إلى صميم قلبه (مز ٣٧ : ١٥) . سيفهم يدخل إلى قلبهم وسيوفهم تتكسر . إفعل كما أخبرك :

حلل فى نفسك الفكر الوارد اليك ما هو ؟ ومن أى الأمور هو مركب ؟ وما الذى يؤثر على العقل منه ؟ مثال ذلك لنفرض أن فكرة محبة المال عرضت عليك ، ابتدىء فى تحليلها : فكرة الذهب – الذهب نفسه – وشهوة محبة المال ، أخيرا اسأل أى من هذه الثلاثة خطيـــة – هل هو العقل ؟ ولكن كيف يكون ذلك وهو على صورة الله ؟ ! إنه فكرة الذهب إذن ؟ لكن لا ينبغى على الإنسان الذى له عقل أن يقول حتى هذا – هل الذهب نفسه خطية ؟ إذن لماذا خلق ؟ وعليه يجب أن ترجع الخطية إلى الحالة الأخيرة وهى شهوة محبة المال فهى شهوة نابعة من إرادتنا وتحت العقل على أن تسيء إلى مخلوقات الله . . . وستجد أن الشيطان يفر حالما ترفع أفكارك على اجنحة المعرفة .

إذا لم ترد أن سيفه يدخل إلى قلبـــه ولكنك تريد أولا أن ترشقه بسهم ، خذ حجرا من حقيبة رعايتك واعتبر الآتى :

كيف يؤثر فى عالمنا الملائكة والشياطين ونحن لا نؤثر فيهم ؟ ذلك لأننا لا نستطيـــع أن نقرب الملائكة بالأكثر إلى الله ، ولا نستطيع أن نجعل الشياطين أكثر نجـــاسة . فكر أيضاً فى الآتى :– كيف أن لوسيفورس الذى نهض فى الصبح سقط من السماء (أشعياء ١٤ : ١٢) ؟ ؟ . . . التأمل فى مثل هذه الأمور يؤلم الشيطان كثيرا ويجعل جيشه كله يعمد إلى الهروب ولكن لا يستطيع أن يسير على هـــذا المنوال ألا أولئك الذين بلغوا درجة من التطهـــير ووصلوا إلى ادراك أسباب هذه الظواهر ، فإن غير الأتقياء لا يعرفون كيف يتأملون فى هذه الأمور وحتى إذا تعلموا من الآخرين كيف يقاومون العدو فإن صلواتهم لن يسمع إذ انهم فى وقت القتال سيكون كل ما بداخل نفوسهم فى حالة اضطراب وسيثير آلام النفس فيهم سحبا من الغبار .

إنه بالتأكيد من الأمور الأساسيـــة أن تقف كل القوات المعـــادية بلا حراك حتى لا يتقدم لمحاربة داود فينا إلا جليات وحده (بمعنى ألا يقوم اعـداء كثيرون لمحاربة فرد واحد) . وهكذا عندما تأتى الينا أفكار أخرى شريرة علينا أن نستخدم الطريقة السابق ذكرها وهى طريقة التحليل . . .

وعندما تهرب منا الأفكار الشريرة بسهولة زائدة فلنبحث

عن سبب هروبها لنعرف ما إذا كان المدير لا يستطيع أن يسبب لنا الضرر لعدم قابلية مقترحاته للتنفيذ أو لثباتنا وعدم تحرك آلام النفس فينا - مثلا إذا تخيل أحد النساك أنه قد وكل اليه أمر القيادة الروحية فى مدينة كبيرة ثم لم يلبث هذا الفكر أن زال سريعا ، فمن الواضح أن سبب زواله يرجع إلى النظرية الأولى - (عدم قابلية ذلك للتنفيذ) . لكن إذا خطرت فكرة لإمرىء ما أنه سوف يصبح حاكما لمدينة معينة (وكان هذا ممكنا) وعالج هذا الشخص هذه الفكرة باحتقار فإن معنى هذا أنه قد تحرر من آلام النفس .

وإذا استخدمنا طريقة البحث هذه فى حالة ورود أفكار أخرى الينا فإننا سوف نكتشف سبب هروب هذه الأفكار عنا بمثل هذه السرعة - ويجب أن نعرف هذا حتى نشعل الغيرة فى نفوسنا ونزيد من جهودنا لأننا بهذه الطريقة نكتشف إذا كنا قد عبرنا نهر الأردن وأصبحنا قريبين من مدينة أشجار النخيل ، أو إذا كنا لا نزال فى البرية معرضين لهجوم الأعداء .

وتتأصل فينا كل الأفكار الشريرة بسبب الآلام التى تطرح الذهن إلى الدمار والهلاك - لأنه كما أن صورة الخبز تتمثل فى ذهن الرجل الجائع ويطول بقاؤها بسبب شعوره بالجوع ، وكما

تظهر صورة الماء فى ذهن العطشان ، كذلك تأتى صور المال والأفكار المخجلة التى تتولد من الطعام الدسم الوفير ويطول بقاؤها فى مخيلتنا بسبب العواطف التى تتناسب معها - وينطبق هذا على المجد الباطل وما شاكله .

ولكن من المستحيل للذهن الذى تطارده مثل هذه الأفكار أن يبدو أمام الله مكللا بتاج البر . فإن الذهن كان مضطربا بهذه الأفكار الثلاثة عندما اعتذر عن حضور الدعوة إلى عشاء معرفة الرب طبقا لما جاء فى المثل الذى ورد فى الانجيل (لو ١٤: ١٨-٢٠)- كذلك الرجل الذى قيد من يديه ورجليه وطرح إلى الظلمة الخارجية - كان متشحا بثوب من نسيج مثل هذه الأفكار - ذلك الثوب الذى إعتبره السيد صاحب الدعوة لباسا غير لائق لحفل العرس (متى ٢٢ : ١١ - ١٣) .

ثوب العرس هو حالة انعدام الآلام لدى النفس التى وهبت الذكاء والتى طرحت عنها الشهوات العالمية .

ولا تعرف الشياطين دخائل قلوبنا كما يظن بعض الناس لأن الذى يعرف قلوب الناس هو وحده الذى يفهم عقل الانسان (ايوب ٧ : ٢٠) . والذى كون قلوبهم (مز ٣٣ : ١٥) . ولكن الشياطين تعرف الكثير من الحركات التى تدور فى القلب

أما من الـــكلمات التى تقال أو من بعض حركات الجسم ـ فإذا فرضنا أننا أثناء الحديث قد لمسنا أولئك الذين تكلموا بالسوء علينا فمن هذه الكلمات تستغبط الشياطين اننا قد اتخذنا موقفاً معادياً من أولئك الناس فتنتهز الشياطين هذه الفرصـــة لتدخل إلى نفوسنا أفكاراً شريرة إزاءهم فإذا قبلنا هذه الأفكار فإننا عند ذاك نسقط تحت نير شيطان الغضب الذى يحرضنـــا على الدوام بناء على ذلك إلى تنفيذ أفكار انتقامية ضدهم .

لذلك يوبخنـــا الروح القـــدس بحق قائلا ، لقد جلست وتكلمت ضد أخيك وكنت عثرة لإبن أمك ، أى انك فتحت بابك لأفكار الغضب وأزعجت ذهنك اثناء الصلاة بتصورك وجه عدوك بصفة دائمة وهكذا جعلته كإله لك ، لأن مايتصوره العقل دائماً أثناء الصلاة يجب أن يعترف به كأنه إله له .

لهذا فلتتجنب الحديث الخبيث هذا ولا تحتفظ بأية ذكرى سيئـــة ضد أى شخص ولا تكتئب وجوهنا لذكرى أخ لنا ـ لأن الشياطين الخبيثـــة تراقب فى اهتمام حركاتنا وتكتشف جميع الأشياء التى يمكن استخدامها ضدنا سواء فى جلوسنا أو نهوضنا أو وقوفنا أو سيرنا أو فى كلامنا أو فى نظراتنـــا لأنهم دائما يحبون الاستطلاع ويدبرون وسائل الخداع طول اليوم .

توجد ثمانية أفكار رئيسية منها تنبع كل الأفكار الأخرى :

الفكر الأول	:	الشراهة فى الأكل .
« الثانى	:	الشهوات والزنا .
« الثالث	:	محبـــة المال .
« الرابع	:	عدم القناعة والطمع .
« الخامس	:	الغضـــب .
« السادس	:	اليـــأس .
« السابع	:	المجد الباطل .
« الثامن	:	الكبرياء .

١ ـ الشراهة

فكر الشراهة يوحى للراهب أن يسرع ليتخلى عن حياته التقشفية موهما إياه بأمراض المعـــدة والكبد والصفراء أو أى مرض آخر من الأمراض الطويلة المدى المزمنة ، وبالحاجة إلى العلاج الطبى وعدم وجود الأطباء المعالجين ـ فضلا عن ذلك فإنه يورد إلى ذاكرته الإخوة الذين يعانون مثل هذه الأمراض بالفعل ، وفى بعض الأوقات يحرك الشيطان العدو بعض الإخوة

الذين يقاسون من مثل هذه الأمراض ليزوروا الرهبان الذين يكونون صائمين ويقصون عليهم ماحدث لهم ويحتمون حديثهم بأن ما أصابهم لم يكن الا بسبب حياة التقشف الصارمة .

٢ – الشهوات والزنا

† شيطان الزنا يحرك ويثير الشهوة البهيمية ويشن هجومه على المتقشفين ويجاهد ويماحك لكى يجعلهم يبطلون تقشفهم زارعاً فى نفوسهم القلق بأن هذا التقشف لن يجديهم نفعاً فإذا ما استطاع أن يقلق النفس ويدنسها فإنه يبتدىء يهيئها لسماع أقوال بعض الأحاديث ثم يبدأ فى التصورات الشريرة .

† ما يحبه الإنسان بالتأكيد هو ما يشتاق اليه ويريده وما يريده يعمل جاهداً للحصول عليه ، كل لذة وتمتع يكون مسبوقا بالرغبة ، والرغبة تتولد من الإحساس والشعور الداخلى ، فمن تجرد من هذا الإحساس فهو حر طليق من ألم الشهوة .

† عندما ـ لسبب أو لآخر ـ تنفعل نفوسنا ببعض المثيرات تعطينا الشياطين نصيحة التوحد كأمر حسن ونافع ، حتى

بعد ما يزول سبب الضيق فينا والانقباض لا نكون قد تحررنا من ميلنا للقلق إذا ما اجتمعنا مع الناس ، ولكن عندما تشتعل فينا الشهوة تحركنا الشياطين الاختلاط كثيرا بالناس ، وتصور لنا البعد عنهم نوعاً من أنواع التوحش والقسوة ، حتى إذا ما تم لنا ذلك نخطىء بسبب الناس أو مع الناس . فلا ينبغى أن نصدق هذه الشياطين لكن لنعمل العكس تماما بكل ما فى وسعنا من قوة .

† آلام النفس تستمد الدافع لها من النفس وشهوات الجسد من الجسد ، حركات الشهوات الجسدية توقف بضبط النفس ، وآلام النفس بالمحبة الروحية .

† ان الشياطين التى تثير شهوات النفس تقف باصرار وتزعج النفس حتى الموت ، ولكن الشياطين التى تحرك شهوة الجسد تتقهقر فى أكثر سهولة ويسر . . .

† انه من المهم أن نفهم إذا كان الفكر هو الذى يجلب الشهوات ويحركها أو الشهوات هى التى تجلب الفكر ـ يظن البعض أن الأول هو الصحيح ، ويظن الآخرون أن الثانى هو الصحيح ، ولكن الشهوات عادة تستيقظ وتعمل عن طريق الحواس ـ وإذا كان الإنسان لديه محبة وضبط

نفس فإن الشهوات لا تتحرك والعكس بالعكس .

✝ أولئك الذين يصنعون تدبيرا للجسد لأجل الشهوات (رو ١٣ : ١٤) . أولئك الذين يطعمون أجسادهم بإسراف ويهيئونه ليتمموا شهواتهم لا ينبغى لهم أن يلوموا أجسادهم بل أنفسهم ، ولكن أولئك الذين حصلوا على إنعدام ألم النفس فى هذا الجسد عينه وكانوا نشطين فى الفكر فى الله الواحد بمؤونة صحة أجسادهم وعلى قدر ما فيهم من قوة ، فإنهم يعرفون بفضل الخالق الذى أعطانا هذا الجسد .

٣ — محبة المال

محبة المال تصور للمجربين العمر الطويل ، عدم القدرة على العمل ـ الجوع ـ المرض ـ مصاعب الاحتياج والاستجداء من الآخرين ـ حاجات الجسد . . . الخ

٤ — عدم القناعة والطمع

✝ عدم القناعة والطمع تتأتى فى بعض الأوقات من فقد ما هو مرغوب فيه ـ وبعض الأحيان تلازم الغضب .

إذا كانت بسبب فقد ما هو مرغوب فإنه يحدث هكذا :

بعض الأفكار تأتى أولا وترد إلى النفس تذكر الوطن والمنزل والأهل وطريقة الحياة الأولى ، وعندما لاتقاوم النفس هذه الأفكار بل تسر بها تبتدىء هذه الأفكار تنمو فتستقر فى النفس ، وعند ذاك تفرق النفس فى عدم القناعة لأن الأشياء التى تتصورها ليست موجودة ولأن الراهب لن يستطيع الحصول عليها بحكم قوانين الرهبنة ، وعند ذاك يقتنص الشيطان هذه النفس المسكينة بقدر ما تنغمس فى مثل هذه الأفكار المغلفة .

✝ عندما تشتاق النفس إلى أطعمة مختلفة أعطها فقط الخبز والماء لتجعلها شاكرة حتى مع تناول كسرة خبز لأن الشبع وشهوة إمتلاء البطن تتطلب أطعمة متنوعة ، ولكن فى حالة الجوع تقنع النفس ولو بقليل من الخبز .

✝ الذى يهرب من اللذات والشهوات العالمية هو حصن صعب المنال لشيطان عدم القناعة ، لأن عدم القناعة تأتى من الحرمان من بعض اللذات سواء كانت حاضرة بالفعل أو متوقعة ، ولن نستطيع أن نتغلب على هذا الداء طالما كنا مربوطين برباطات الأمور الأرضية ، والشيطان ينصب شباكه ليحرك فينا عدم القناعة كلما رآنا أكثر ارتباطا بالأرضيات .

٥ – الغضب

الغضب هو أسرع كل أنواع الشهوات فإن الإنسان يثور ويلتهب ضد من أساء أو من يبدو أنه قد أساء اليه ، انه يغلظ ويقسى القلب ويأسر العقل أثناء الصلاة ويورد حالا للذاكرة صورة ذلك المعتدى ، وفى بعض الأوقات يتباطأ فى النفس فتنشأ العداوة فى القلب ، وتسبب الأحلام فتصور له العذابات الجسمية ، مخاوف الموت ، هجمات الحيات السامة والوحوش – هذه المظاهر الأربعة تستصحب بذور العداء وتحضر أفكارا كثيرة أخرى حسبما يرى كل إنسان لنفسه .

† مثيرات الغضب تهدأ بتلاوة التسابيح – كرم الأخلاق – الرحمة ، كل هذا يكون له أثره إذا استخدم فى الوقت المناسب وبالقدر الملائم . كل أمر غير منتظم وبدون مقياس وضابط سليم هو قصير الأجل ، والأمور التى لاتستمر الا قليلا ضررها أكثر من نفعها .

† الغضب والكراهية يبيدان انفعالات القلب ، والرحمة والإتضاع يهدئانها .

† إن الغضب فى الأصل رسم لكى نقيم الحرب مع الشياطين

ولكى نثور ضد أى نوع من أنواع الملذات الخاطئة ، وحينذاك تحمس فينا الملائكة اللذات الروحية وتدعنا نتذوق بركاتها وتجعلنا نحول غضبنا نحو الشياطين – ولكن الشياطين إذ تغوينا نحو الشهوات الأرضية تجعلنا نستعمل الغضب نحو الناس الذى هو ضد الطبيعة وبخلاف الأصل حتى عندما يظلم العقل يصبح عدوا للفضائل

† الغضب يحتاج إلى علاج أكثر قوة من الشهوات ، والمحبة علاج عظيم لأنها تكبح جماح الغضب .

† لايمكن أن تأتى الحكمة بدون كفاح ، ولا نجاح فى الكفاح بدون الحكم الصحيح ، انه من وظيفة الحكم الصحيح أن تقاوم الغضب الذى تثيره الشياطين وأن ترغم قوى النفس أن تعمل كما ينبغى ، حسب طبيعتها – بذلك نمهد الطريق للحكمة .

٦ – اليأس

شيطان اليأس ، الذى يقال له أيضا شيطان الظهيرة هو اكثر شرا وأشد خطرا من كل الباقين ، انه يجثم على الراهب حوالى الساعة الرابعة من النهار (حوالى الساعة ١٠ صباحا)

ويجعل النفس تدور كما فى دوامة حتى الساعة الثـــامنة من النهار (الساعة ٢ بعد الظهر) ـ يبتدىء أولا بأن يجعل الإنسان يلاحظ فى غم وضيق صدر كيف أن الشمس تتحـــرك فى بطء أو انها لا تتحرك كلية ، وأن النهار يبدو كما لو كان عدد ساعاته خمسين ساعة ، بعد ما يمل كثيرا يحركه الشيطان لكى يتأمل من نافذته أو يخرج من قلايته ليرى الشمس وليتأمل كم من الزمن يبقى حتى الساعة التاسعة ، ثم يجعله يحملق هنا وهناك ويثير فيه الغيظ من المكان الذى يعيش فيه ومن طريقة حياته وعمله ويضيف له بأنه لاتوجد محبة بين الإخوة ولا يوجد أحد يربحه . وإذا تصادف فى هذه الأيام أن أحدا يكون قد اساء اليه (ولو اساءة بسيطة) فيذكره الشيطان بها لكى يزيد من حنقه وغيظه . الخطوة التى تلى ذلك هى أن يحرك فيه الاشتياق للسكنى فى أماكن أخرى حيث يكون من السهل أن يعمل عملا آخـــر اكثر نفعاً لسد حاجاته وأقل قسوة ـ يضيـــف اليه الشيطان انه لكى يرضى الإنسان الله فإن ذلك لا يتوقف على المكان وان الله يعبد فى كل مكان . ثم يربط هذه الأفكار بأفكار أخرى ، أفكار الأقارب والحياة الهادئة الهنيئة الأولى ، ثم يتنبأ له بحيـــاة طويلة مملوءة بمصاعب التقشف ويستعمل كل أنواع الخـــداع لكى يجعل

الراهب ينفى ويحتم هذه الحياة ويترك قلايته ، وهذا الشيطان يلحق به شيطان آخر ولكن ليس فى الحال .

أما إذا قاوم الراهب هذه الحروب وانتصـــر فإن النفس تستقر فى سلام وتمتلىء بفرح لا ينطق به .

† فى وقت التجارب لا تغادر قلايتك متحملا لنفسك بعض الأعذار التى تبدو لك صحيحة ولكن أجلـــس فى قلايتك متحملا بشجاعة كل الهجمات خصوصا هجمات شيطـــان اليأس الذى هو بالحقيقة أشر من كل الشياطين .

† عندما يهاجمنا شيطان اليأس ليتنا نزرع بذار الأمل الطيب فى نفوسنا ، نرتل من مزامير داود النبى ـ لماذا انت يانفسى حزينة ولماذا انت قلقة وترجيفنى . انتظرى الله لأنى أشكره فهو خلاصى . . .

٧ ـ المجد الباطل

فكر المجد الباطل هو الأكثر خبثـــا من الكل ، إنه يأتى لأولئك الذين يسلكون حياة البر ـ فيبتدىء يمجد المرء ويعظم مجهوداته ويجمع المديح من الناس ، يجعله يتصور فزع الشياطين منه ، شفاء المرضى ، زحام الجماهير حوله ليلبسوا هدب ثوبه ـ

أخيرا يتنبأ له بتكريسه للكهنوت ، ويجعل الناس يفدون اليه ليجعلونه كاهنا وعندما يرفض الكهنوت يربطونه ويأخذونه بعيدا رغما عنه ، وبعد ما يشعل الشيطان فيه هذه الآمال الكاذبة ينسحب تاركا المجال لمحاربات أخرى يقوم بها شيطان الكبرياء أو شيطان عدم القناعة الذى يأتى وحالا يعرض عليه أفكارا مضادة لهذه الآمال ، حتى أنه فى بعض الأوقات يستسلم لأفكار شيطان الزنا ، هذا الإنسان الذى كان من مدة قريبة فقط يرى نفسه كقديس وقس موقر ومكرم !!

† من نال الاقرار والمعرفة وتذوق حلاوتها لا يعود يثق بشيطان المجد الباطل ولو كان سيمنحه كل الشهوات التى فى العالم . . . ولكن إذا كنا لم نكن قد تذوقناها بعد فليتنا بكل غيرة نحيا حياة الجد ونعمل أمام الله هدفنا وهو أن كل ما نعمله انما نعمله لنزداد معرفة به .

† ان شيطان المجد الباطل مضاد لشيطان الزنا ولا يسوغ للانسان أن يقاتلا النفس سويا ، لأن أحدهما يعد بالكرامات والشرف ، والآخر يجلب العار ، وذلك إذا اقترب احدهما وابتدأ فى اقلاقك احضر إلى ذهنك أفكار الشيطان المضاد ، فإذا نجحت كما يقول المثل فى طرده مسبار ، فآخر إعلم انك

فى الطريق إلى « عدم الألم » لأن عدوك اثبت انه قادر أن يبعد مشروعات الشيطان بالأفكار الشريرة ، ولكن بطبيعة الحال إذا استطعت أن تطرد فكر المجد الباطل بالإتضاع وفكر الزنى بالعفة فإن هذه هى علامة « فقدان الألم » ـ وحاول أيضا أن تفعل هكذا بالنسبة لكل الشياطين وأضدادها ، وإذا فعلت هذا فإنك سوف تعلم أى شهوة كنت فيها وأطلب من الله بكل قوتك أن يعينك وأن يساعدك لكى تطرد عنك الأعداء . . .

† كلما تقدمت النفس كلما كثرت قوة مقاليبها ولا أظن أن الشياطين الذين يقاتلونها دائما من نوع واحد ، وهذا معروف جيدا لأولئك الذين يراقبون ويفتهمون بدقة إلى التحارب التى تجتاحهم ويرون أن حالات « عدم الألم » تتأثر بقوة بعض الأحيان أكثر من ذى قبل بواسطة شياطين جدد خلفاء للقدامى .

إن حالة « عدم الألم » الكاملة تأتى إلى النفس حينما تقهر كل الشياطين الذين يضادونها ـ ويكون « عدم الألم » ناقصا إذا كانت النفس لا تزال تحارب الشياطين دون أن تهزم منهم ، ولا يستطيع إنسان أن يصل إلى مرحلة « عدم الألم » والروحانية

عالم يصلح أولا النفس الداخلية فإن الاضطراب الداخلى للنفس لابد أن يحولها إلى الأمور التى سبق أن تخلت عنها .

† العقل الذى يشن حرب الشهوات لا يرى مشروعات الخصم ويكون موقف الإنسان فى هذه الحالة كموقف من يقاتل فى الظلام ، ولكن بعد الحصول على فقـــدان الألم يفطن العقل بسهولة إلى حيل الأعداء .

† ليتنا ندرك علامات (فقدان الشهوات ـ عدم الألم) أثناء النهار بواسطة الأفكار ، وفى الليل بواسطة الأحـــلام ـ وليتنا نسمى حالة عدم الألم ، صحة النفس ، ونسمى المعرفة غذاء النفس لأن هذه الحالة وحدها هى التى تجعلنا متحدين مع القوى المقدسة لأن هذا الاتحـــاد لا يتم الا إذا كانت حالتنا متناسقة مع هذه القوى .

† بعض الشياطين النجسة تحارب الإنسان كإنسان والبعض تزعج الإنسان كحيوان أصم . النوع الأول يدخل الينـــا أفكار المجد الباطل أو الكبرياء أو الحسد أو الدينونة ، التى لا تصيب أى حيوان أصم . أما النوع الثانى فيثير فينا الغضب والشهوة ، وهذه الشهوات الأخيرة مشتركة بيننـــا وبين الحيوانات الغير النـــاطقة والمخفية فينا ـ من أجل هذا فإن

الروح القدس بالنسبة للأفكار التى تأتى للناس كأشخاص يقول « أنا قلت أنكم آلهة وأولاد العلى . . . » مز ٨٢ : ٦ ، ٧ . أما بالنسبة للأفكار التى تتحرك فى الإنسان مثل حيوان أصم فيقول عنها « لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم ، بلجام وزمام زينته بكم لئلا يدنو إليك » مز ٣٢ : ٩ .

† لاتصور بعقلك للاله أشكالا وأنت تصلى ، ولا تسمح لعقلك بالجملة أن تتصور الاله بشكل ما . . فإن عملت ذلك فإنك سوف تجد فهماً . . . إحفظ ذاتك من مصائد المحاربين لأنهم إذا رأوك تصلى بتقاوة يجعلون أشكالا غريبة تظهر أمامك بغتـــة ليجذبوك إلى كبرياء القلب ، وذلك بأن يصوروا لك أشكالا ويجعلونك تظن فى نفسك أن الذى ظهر لك هو الإله . . .

† لا تشتاق أن تنظر ملائكة أو قوات أو المسيح جسداً ، لئلا يضيع عقلك بالكلية وتقبل ذئباً بدلا من خروف ، وتسجد لأعدائك الشياطين لأن بهذه ضـــلالة العقل التيه والكبرياء . . . إذا ما بدأ العقل يتحرك فى العجرفة فإنه يروم أن يحضر الإله فى صور وأشكال ، لذلك يجب ألا تهمل هـــذا الغش ، وهو أنه فى وقت ما يقسم الشياطين

ذواتهم . فالبعض منهم يبدأ بمحاربتك ويحققون عندك أنهم شياطين ، فإذا طلبت المعونة تجد البقية يدخلون إليك فى شكل ملائكة قديسين - وهم شياطين - ويطردون أولئك الأولين ليخدعوك ، فتظن أنهم ملائكة قديسون وهم شياطين .

كذلك توسوس لك الشياطين فى وقت ما بأفكار ، ثم يحركونك للصلاة عليهم ومقاومتهم فينصرفون باختيارهم كما إذا انخدعت ظننت بنفسك شيئاً فتفكر كأنك قد بدأت أن تقهر أفكارك وتنزع الشياطين .

٨ - الكبرياء

شيطان الكبرياء هو سبب السقوط المحزن للنفس . إنه يشير على الإنسان بألا ينظر إلى الله كأنه هو المعين له لكى ينسب إلى نفسه كل ماهو حسن ويبتدىء يتفخ أمام الإخوة معتبراً إياهم جهلاء لأنهم لا يقدرون منزلته السامية .

الكبرياء يتبعها الغضب وعدم القناعة وعدم الرضى وشدة الغيظ .

† † †

بشأن الثمانية أفكار السابقة

توجد خمسة أمور تساعد على جلب رضاء الله وإحسانه :

الأول : الصلاة النقية .

الثانى : صلاة المزامير والتسابيح .

الثالث : قراءة الكتب المقدسة .

الرابع : تذكر الإنسان خطاياه والموت والديونة المخيفة .

الخامس : عمل اليدين .

نصائح

† إذا كانت لك رغبة أن تخدم الله مثل الروحانيين جاهد لكى تكون فى قلبك صلاة سرية متصلة ومستمرة ، لأنه فى هذه الحالة تكون نفسك مشابهة للملائكة .

† لسنا مطالبين أن نعمل دائماً وأن نسهر ونصوم دائماً ولكننا مطالبون بأن نصلى بلا انقطاع ، لأن الأمور الأولى تحتاج إلى الجسد لتستمر فى عملها والجسد لا يستطيع أن

يستمر فى عمـــل دائم وحرمان دون غذاء ومعونة ، أما الصلاة فإنها تطهر العقل وتقويه إذا ألمت به الحرب ، لأنه خلق للتسبيح حتى بدون هذا الجسد، ولكى يقاتل الشياطين لحماية كل قوى النفس .

† تغافل عن ضروريات الجسد عند وقوفك للصلاة . . . ولا تنشغل بها لئلا تخسر الربح العظيم الذى للصلاة .

† كما أن جسدنا يصير ميتاً ومملوءاً نتناً عندما تفارق النفس البدن، كذلك النفس التى لا تكون الصلاة فيها حارة تكون ميتة ومملوءة نتناً .

حرمان النفس من الصلاة يعتبر أشر من الموت

وقد أوضح ذلك دانيال النبى الذى كان مستعداً أن يموت ولا يحرم من الصلاة فى أى وقت .

† ينبغى على الإنسان أن يتـــذكر الله أكثر مما يتنسم الهواء ويستنشقه . مع كل نفس تستنشقه أذكر مبتهلا اسم يسوع ولو بكلمة واحدة أو صلاة قصيرة أو فكر فى الموت مع الاتضاع. هذه التدريبات كفيلة أن تنفع النفس نفعاً جزيلا.

† هل تريد أن تكون معروفاً لدى الله حاول بقدر ما تستطيع ألا تكون معروفاً لدى الناس ، إذا كنت تذكر دائماً أن الله يرى كل أفعال النفس والجسد فإنك لا تخطىء بأى نوع ويكون الله رفيقك .

† لا شىء يجعلنا مشابهين لله مثل فعلنا الخير للآخرين، ولكن فى أثناء فعل الخير يجب أن نحرص على ألا نحول هـــذه الأعمال الصالحة إلى مجرد فكرة .

† الإنسان الحكيم العاقل الذى يقـــدم لله الكرامة والعبادة الحقة يكون معروفاً ـ من أجل هذا فهو لا يضطرب أبداً لو ظل مجهولا من كل الناس . . .

† اشغل نفسك بالقراءة بروح هادئة حتى يرتفع عقلك دائماً للتأمل فى أحكام الله العجيبة فترتفع كما لو كان ذلك بيد تجذبك إليه .

† لا تنسى أنك أخطأت حتى ولو كنت قد تبت ، بل إجعل الفرح وتذكار الخطيـــة إتضاعاً لك، لكى بالاتضاع تنق الكبرياء ـ إختم باب أتعابك بالصمت لئلا يقلقـــه اللسان

فينتج المجد الفارغ الذى يزعجها ـ وكما أنك تخفى خطاياك عن الناس ، كذلك اخف أتعابك أيضاً ، فإن كنت لله وحده تظهر نقائصك فلماذا تظهر للناس تلك الأتعاب التى تصنعها لأجله بقلة رأى ؟ !

† ممدوح هو الإنسان الذى يربط النفس بالفهم لكى تروى النفس من هذين النبعين ، وتظهر النفس بقتل الأعضاء التى على الأرض اعنى ، الزنى والنجاسة والاغراض الشريرة .

إن من كان همه فى تذكار الموت فذلك يهديه لخوف الله .

الذى يجمع كلام الكتب المقدسة إلى قلبه يلق الافكار بعيدا عنه براحة ـ لاننا نحتـــاج إلى اتعاب كثيرة لكى نقطع كل الافكار .

† † †

اقتناء الفضائل

† الفضائل لا توقف الشياطين عن قتالنا ولكنها تحفظنا سالمين من أذاهم وضررهم .

† كمال الفضيلة المحبة وكمال المعرفة علم اللاهوت وبدؤها الإيمان والتأمل ـ الشياطين التى تقاتل الاجزاء الشهوانية فى النفس تسمى أعداء الحياة العاملة بينما أولئك الذين يقاتلون العقل نفسه يدعون أعداء الحق وخصوم التفكير والتأمل .

† الذى يتقدم فى حياة الفضيلة تتضاءل عنده الشهوات ، ومن يتقدم فى التأمل يتضاءل عنده الجهل . . .

† الأمور الجيدة والرديئة التى تصادفنا فى هذه الحياة تساعد الفضائل كما تساعد الرذائل ـ إذن هو عمل الحكيم الصحيح الذى تتوقف عليه زيادة الفضيلة وتعطيل الرذيلة .

† حسب تعاليم معلمنا القديس غريغوريوس اسقف نيسس ، النفس منقســـمة إلى ثلاثة أقسام ـ إذا كانت الفضيلة فى الجزء العقلى تسمى الحذر والحكمة والتعقل ـ وإذا كانت

فى الجزء الذى يشتهى تسمى الطهارة والمحبة وضبط النفس ، وإذا كانت فى الجزء القابل للاثارة تسمى الشجاعة والصبر ـ أما إذا كانت فى كل النفس فانها تسمى الحق والاستقامة .

✝ وظيفة الحرص والحذر هى أن تحمى الفضائل وتبعد بعيدا الرذائل ، وظيفة الحكمة أن تنظم بالحق كل شىء ترمى اليه ، أما وظيفة التعقل فهى أن تتأمل فى كل الأمـــور الجسدية والغير الجسدية فى كل مظاهرها . عمل العفة هو النظر إلى الامور بدون شهوة . . . أما عمل المحبـــة فهو أن تكون نحو كل أحد بحمل صورة الله . . . ولو أن الشياطين تحاول أن تحط من قدر بعض الناس فى نظرنا . أما عمل الصـــبر والشجاعة فهو ألا تخاف الاعـــداء ، وأن تحتمل الآلام بشجاعة ، أما عمل الحق والاستقـــامة فهو أن تحفظ كل اجزاء النفس فى انسجام ووفاق .

✝ . . . بدور الفضائل لا تمحى ـ فإن الرجل الغنى الوارد ذكره فى الإنجيـــل ، الذى ولو انه كان مدانا وفى الجحيم إلا انه افتكر برحمة نحو اخوته . . !

✝ توجد حالتـــان لهدوء النفس ، الأولى تأتى من اضعافه واخماد شهواتنا الطبيعية ، والثانية من انسحاب الشياطين . الأولى تكون مصحوبة بالإتضـــاع ، انكسار القلب ، الدموع ، الأشواق اللانهائية نحو الامور الإلهية ـ الثانية تكون مصحوبة بالمجد الباطل والكبرياء ، وهذه تستولى على الراهب عندما تنسحب الشياطين من قتاله . ان من يحفظ الحالة الأولى يستطيع بأكثر سهولة أن يهبط إلى هجمات وحيل الشياطين .

✝ الواجب علينا أن نفحص السبل التى سلك فيها الرهبان الذين تقدمونا ونستقيم مثلهم فنجـــد أمورا كثيرة جدا قالوها وصنعوها ، لأن واحداً منهم قال : أن الاكل بضيق (عـــدم الإفراط فى الأكل) ، والحيـــاة بغير تلذذ (الأمتناع عن شهوات الجسد) ، إذا اقترنا بالمحبة فانهما يوصلان المؤمن بسرعة إلى ميناء عدم الارجـــاع ، وقد شفيا قبلا أحد الإخوة من خيالات الليل التى كانت قلقته ، ولما أمر أن يخدم المرضى وهو صائم خفت عنه ، وحينئذ قال أن أمثال تلك الأعراض لا يستطيع أحـــد اجتنابها إلا بالرحمة .

† من يقول انه اقتنى فضيلة بدون جهاد فهو إلى الآن ممسوك في الآلام لأن شر الأعداء هو قبالة أتعاب الفضيلة ، والقلب الذى ليس فيه قتال ليست فيه فضيلة ولا شجاعة ، وكما أن الإنسان البرانى يعمل شغل البدن لا يحتاج ، هكذا الداخل يعمل لئلا يثقل العقل ، لأن الشياطين إذا وجدت النفس بطالة من تذكار الله ، حينئذ يذكرونها بالأفعال الرديئة . الوديع ولو صنعوا به الشر لن يتخلى عن المحبة ، الذى ليس له قنية ، له حياة بلا اهتمام — أما محب الاقتناء فله تنغيص فى قلبه ذلك هو الاهتمام .